الباب الثاني

المعجمية في إطار الحضارة

الفصل الأول
في معجمية الحضارة (الأصول)

أولا
معاجم مصطلحات علم المخطوط العربي
و قيمتها الحضارية

(مدخل)

ما زال التقدم العلمي حتى – وهو يرتاد آفاقا جديدة يكشف عن أبعاد جديدة لحقيقة ثابتة راسخة هي الأثر الجبار الذي أحدثه الإسلام في الحضارة الإنسانية وبخصائص وموائز مختلفة في غاياتها عن غيرها من الحضارات التي عرفها البشر في الأزمنة والأمكنة المختلفة.

ولقد كشف العصر الحديث عن علم جديد، وإن بدت بعض إشارات قديمة إلى بعض قضاياه ومسائله – وهو علم المخطوط العربي، يقول الدكتور / عبد الستار الحلوجي: "إن التراث العربي المخطوط أطول عمرا وأضخم عددا وأشد تنوعا وأقوي انتشارا وأكثر أصالة من التراث المخطوط لأية أمة أخرى" [نحو علم مخطوطات عربي، للدكتور عبد الستار الحلوجي، دار القاهرة سنة ٢٠٠٤م، ص ١٥].

وقد تأسس هذا الحكم على معايير زمانية ومكانية وحضارية " أضفت عليه قيمة لا نظير لها، فهو الذاكرة الحية لأمة امتد تاريخها على خمسة عشر قرنا من الزمان، ووضعت أقدامها في مشارق الأرض ومغاربها، وأمدت الحضارة الإنسانية بزاد ثرى في مختلف فروع المعرفة، وتفرد تراثها بعلوم لم يسبقوا إليها، ولم يلحقوا فيها ".

ويعرف علم المخطوط بأنه :" الدراسة المختصة بتناول جميع جوانب المخطوط باستثناء محتواها، كما يوصف بأنه ذلك العلم الذي يركز كليا على الخصائص المادية للكتاب المخطوط باليد ".

ويستنبط الدكتور / الحلو جي [نحو علم مخطوطات عربي ص١٧، وانظر تطبيقه لهذا المفهوم في المخطوط العربي له، الدار المصرية اللبنانية، والقاهرة سنة ٢٠٠٢م] في غير ما مصدر من مؤلفاته أن علم المخطوط العربي يتناول بالدرس ستة محاور أساسية هي :

١- تاريخ المخطوط.

٢- دراسة المخطوط كوعاء من أوعية المعلومات.

٣- تقييم المخطوط.

٤- الحفظ والصيانة.

٥- الفهرسة والضبط الببليوجرافي.

٦- التحقيق والنشر.

وبعيدا عن الجدل الذي قد يثور حول هذا المفهوم – فإننا نرى أن جمع مصطلحية علم المخطوط العربي؛ أي مجموعة المصطلحات المعبرة عن مفاهيم هذا العلم وتصوراته – أمر حديث جدا من جانب، وأمر مهم جدا لاعتبارات متعددة، وهو أمر يكشف عن العناية الفائقة التي أولتها الحضارة العربية الاسلامية للكتاب المخطوط للدرجة التي نستطيع أن نقرر معها أن قراءة المنجز الحضاري للأمة العربية الاسلامية في مجال المخطوطات تقود إلى تقرير الحقيقة التي تقول إن علم المخطوطات كان التطبيق العملي لمثل قوله تعالى : ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ ﴾ [سورة العلق ٩٦/ ١-٤] وبإمكاننا أن نقرر أن تلاوة مثل قوله تعالى ﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ ﴾ [سورة القلم ٦٨/ ١] حق تلاوتها قاد إلى هذا الذي كان من أمر هذا العلم؛ إذ كان لهذا القسم الإلهي أثر ظاهر في عناية العرب بمظاهر هذا العلم.

(١) مصادر مصطلحية علم المخطوط عند العرب.

لا شك أن علم المخطوط العربي بني جهازه الاصطلاحي عن طريق ما نسميه بالمصطلحات الرحالة؛ أي بنقل عدد من ألفاظ العلوم المختلفة التي أسهمت في بناء

هيكل هذا العلم المعرفي، وهي على جهة التعيين ماثلة في الست محاور التي اقترحها الدكتور / عبد الستار الحلو جى فيما سبق هنا.

ومن ثم فإننا نستطيع أن نقرر أن بناء معجم لمصطلحات هذا العلم ينبغي أن تعتمد المصادر التالية :

أولا – ما حفظ لنا عبر التاريخ الطويل من مخطوطات، بأشكالها وخطوطها المختلفة.

ثانيا – مصنفات الفهارس والبرامج المختلفة التي احتفظ بها لنا التاريخ العلمي العربي.

ثالثا – مصنفات علم الرسم والكتابة وآلاتها.

رابعا- مصنفات المحدثين المسلمين ولا سيما في أبواب الكتابة عن الشيوخ إثباتا وكشطا وتضبيبا وتصحيحا وطمسا الخ.

خامسا – مصنفات صناعة الإنشاء، وديوان الكتابة وديوان الخراج لعنايتها في بنائها العلمي بما يلزم الكاتب من أدوات كتابته، وطرق البرى وأنواع المداد، وصنوف الخطوط الخ.

من مثل مصنفات : القلقشندى وابن فضل الله العمري والنويرى وغيرهم.

سادسا – المصنفات المعاصرة في أثر الحضارة العربية وتاريخها من مثل ما كتبه : آدم متيز وجوستاف لوبون، والعقاد وغيرهم.

سابعا- المؤلفات المعاصرة في علم الكتاب العربي، من مثل ما ألفه : محمد محمد أمان وأيمن فؤاد سيد وجورج عطية وعبد الله الحبشي ومحمد ماهر حمودة وغيرهم.

ثامنا- المؤلفات المعاصرة في علم المخطوط العربي من مثل ما كتبه عبد الستار الحلو جى وأحمد شوقي بنبين وغيرهما.

تاسعا – المؤلفات المعاصرة في تحقيق النصوص العربية، من مثل ما كتبه : برجشتراسر وعبد السلام هارون ورمضان عبد التواب وغيرهم.

عاشرا – المعاجم المعاصرة في علوم التأليف والبحث العلمي والتوثيق وعلم المكتبات.

حادي عشر – المصنفات المعاصرة التي تدرس قضايا الترميم والصيانة للمخطوطات القديمة وعلم الخط.

ثاني عشر – مجموعة معاجم المصطلحات المتعددة العلوم عند العرب، كمفاتيح العلوم للخوارزمي والتعريفات للجرجاني وغيرهما.

فهذه المصادر الموزعة على اثنتي عشرة مجموعة هي في تصورنا المادة اللازمة لصناعة معجمات لمصطلحية علم المخطوط عند، ووهي مجموعة قابلة للزيادة ولا شك عند التفصيل الذي لا يناسب المقام هنا.

ونحب أن نقرر أن عددا من مجموعات هذه المصادر غائب عن المعاجم التي صنعت في العصر الحديث للعناية بمصطلحات علم المخطوط.

(٢) معاجم مصطلحات المخطوط العربي المعاصرة.

كان لتطور علم المخطوط العربي في العصر الحديث، وظهور تخصص مستقل يناقش مسائله، ويدرس قضاياه – أثره في ظهور الحاجة إلى معجمية مختصة لمصطلحات،تعنى بجمعها، وترتيبها، وضبطها، وتحريرها، وتدقيق مفاهيمها وتصوراتها.

ومن الحق أن نقرر أن ظهور معاجم لمصطلحات هذا العلم سبق إليها العلماء في الغرب، ثم تبعهم العلماء العرب على إقلال لا يناسب قيمة هذا العلم والتفوق العربي فيه.

وقد عرف التصنيف المعجمي المختص في العصر الحديث ثلاثة معاجم اعتنت بجمع مصطلحات علم المخطوط العربي وشرحها وتعريفها هي كما يلي :

أ- مصطلحات علم المخطوط، لدينيس موتزيريل Denis Muzerelle الذي أصدره في باريس سنة ١٩٨٥م، وهو معجم فرنسي عنوانه :

(vocabulaire codicologique)

يقول عنه الدكتور أحمد شوقي بنبين ومصطفي طوبى أراد له صانعه " أن يكون موجزا يقتصر على شرح الكلمة شرحا مختصرا على غرار شروح الألفاظ في القواميس اللغوية، وهو أول معجم ظهر في التراث الإنساني في هذا المجال ".

ب- تقاليد المخطوط العربي : معجم مصطلحات فنية مع ببليوجرافيا، للمستشرق البولوني آدم جاسيك Adam Gacek، طبعة بريل بلين وبوستون وكولن سنة ٢٠٠١م وهو معجم عربي / انجليزي.

ج- معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولوجى) للدكتور أحمد شوقي بنبين ومصطفي طوبى، الخزانة الحسنية بالرباط، صدرت آخر طبعاته وهي الثالثة سنة ٢٠٠٥م

وهناك محاولة معجمية أخرى يبدو أنها صنعت على سبيل التجريب صنعها محمد شبوح بعنوان : (نحو معجم تاريخي لمصطلح ونصوص صناعة المخطوط العربي) نشرت ضمن أعمال مؤتمر مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامى الثالث بلندن ١٤١٨هـ=١٩٩٩م في صيانة وحفظ المخطوطات الاسلامية.

(٣) وظائف معجمات مصطلحات علم المخطوط العربي.

إن احد المعايير المهمة الحاكمة في صناعة المعاجم ما يسمى بالوظيفة التي يسعى صانعوها إلى الوفاء بها، وقد سعت معجمات مصطلحات علم المخطوط العربي إلى تحقيق الوظائف التالية :

أولا – الوظيفة الحضارية :

المقصود بها أن يكون المعجم هنا أداة كاشفة عن مدى ما قدمته الثقافة الاسلامية المتلبسة باللسان العربي من عطاء خاص متعلق بتراث الأمة العربية المخطوط، وأن امتداد تاريخهم في كتابة علومهم ومعارفهم – أصاب أنواع المادة المكتوب عليها، وأنواع الخطوط المستعملة، وأنواع الأحبار وألوانها، والرسوم والجداول التوضيحية، والتزيين والزخرفة وأنواع القلم وكيفية بريها، وصناعة التجليد، وحفظ المخطوط، وصيانته إلى

غير ذلك من موضوعات كانت مشغلة لأمة معرفية أنتجت ابتكارات وعلوم سعدت بها الإنسانية.

وقد التفت إلى هذه الوظيفة أحمد التوفيق في تقديمه لمعجم أحمد شوقي بنبين ومصطفي طوبى (ص ٧) : " يقف من يستعمل هذا المعجم... على هذه المادة كمرآة لحضارة صنعت وسمت كل ما صنعت "، وهو ما يؤكده آدم جاسيك في أول سطر عندما يقول أن من خصائص الحضارة العربية الاسلامية الأساسية – ولا شك عنايتها بالكتب، وهو أمر يرقى إلى درجة اليقين عنده، ثم يقرر أن الوضع المركزي للكتاب في الثقافة العربية يعد من جذور الإسلام نفسه، وإليك نص كلامه (ص ١٣ = XIII):

"one of the principal characteristics of Arab civilization undoubtedly the cult of books. this central position of the book in Arabic culture has its roots itself"

ثانيا – الوظيفة الاصطلاحية / المعرفية:

بجانب ما تقوم به معجمات مصطلحات علم المخطوط العربي من كشف عن الوجه الحضاري الرائع لهذه الأمة العربية الاسلامية – فإننا لا يمكن أن ننكر أن أية معجمات مختصة تتمثل وظيفتها الكبرى في ضبط مصطلحات العلم وتحريرها وشرحها وتعريفها وعناية بمفاهيمها وتقريب تصوراتها للإدراك.

وهذه الوظيفة الاصطلاحية هي الأساس ولا شك وهو ما لمسه صانعو هذه المعجمات ونصوا عليه، يقول الدكتور مصطفي طوبى في مقدمته لمعجم مصطلحات المخطوطات العربي (ص ١٨) : " أصبح وضع معجم في علم المخطوطات ضربة لازب في الوقت الراهن " وهذه الوظيفة من الظهور المنطقية بحيث لا تحتاج إلى التوقف كثير أمامها.

ثالثا – طلب استقرار علم المخطوط العربي :

هذه وظيفة تبدو مثيرة للغرابة إلى حد كبير، ذلك أن المعجمات المختصة عموما تعكس وجها من وجوه النضج والاستقرار للعلم الذي تجمع مصطلحات وترتيبها وتحررها وتعرفها.

ولكن الأمر هنا يعتريه شيء من الاختلاف إذ يشيع في الأدبيات المعنية بدراسة علم المخطوط العربي والتعريف به جدل لم يحسم إلى الآن حول طبيعة هذا العلم، ومحاوره، وما ينضوي تحته وما لا ينضوي بصورة فيها تفاوت ملموس بين الدارسين، ولذلك سعت بعض المعجمات المصنفة في العناية بمصطلحات هذا العلم إلى أن تصنع هذه المعجمات دورا في استقرار مفاهيم هذا العلم ونضجه وترسيخ المحاور التي تدخل في نطاقه، وهو ما يعبر عنه تعبيرا واضحا الدكتور أحمد شوقي بنبين قائلا (ص ١٢) : " والإقدام على انجاز هذا المعجم يعتبر نوعا من المخاطرة؛ لأن علم المخطوطات بمفهومه العلمي الحديث الذي يمكنه أن يمدنا بما نحتاج إلي من ألفاظ ومصطلحات هو علم جديد لم يتبلور بعد بل ما زال في مرحلة الطفولة "

ولست أشك في أن هذه المعجمات ستحقق خطوة ملموسة في استقرار مفاهيم هذا العم الحديث.

رابعا- الوظيفة التاريخية :

يعرف المهتمون بالمخطوطات العربية أنها خضعت لتطورات كثيرة، على امتداد تاريخ مزدهر من العناية بالكتاب، وهو ما يشير إلى تنامي ظهور مصطلحات مع مرحلة تطورية خضع لها المخطوط العربي؛ بمعنى أن عددا من مصطلحات التجليد مثلا لم تكن موجودة إلى أن بدأت مرحلة تجليد المخطوطات مواكبها ظهور عدد من مصطلحات ترصد مفاهيم هذه المرحلة.

وهو ما يعكس من جانب مهم مرونة اللسان العربي الذي استطاع باعتراف المعجميين المختصين أن يمد الجهاز الاصطلاحي لعلم المخطوط بما يحتاج إليه في كل مرحلة من مراحل تطوره.

ومع هذه الوظائف المهمة جدا فان ثمة عددا آخر من الوظائف الصغرى التي عنيت بها هذه المعجمات من مثل :

أ- بيان معلومات الضبط والهجاء.

وظهور هذه الوظيفة أمر منطقي لاعتبارات مختلفة منها أن عددا من معاجم مصطلحات المخطوط ظهرت في غير اللسان العربي – مما تمس الحاجة معه إلى بيان طريقة نطق المصطلحات وهو ما التزمه آدم جاسيك في صدر تعليقه على المصطلحات التي أوردها في معجمه مستعملا طريقة الكتابة الصوتية؛ لضبط النطق ومن أمثلة ذلك عنده :(دهن / Duhn) ص ٤٨ و(شاهد / Shahid) ص ٨٠ (النسخة الملفقة /

– Al-Nuskhah al mulaffaqah) ص ١٢٩ وهو ما حرص عليه أيضا الدكتور أحمد شوقي بنبين والدكتور مصطفي طوبى.

ب-بيان معلومات البنية (المعلومات الصرفية)

وقد تعلق الأمر ببيان النوع الصرفي أو ذكر جموع بعض الكلمات للحاجة إلى ذلك، ومن أمثلة ذلك عند آدم جاسيك ص ١٥ باب : (ج) أبواب / bab:pl.abwab). وص ٦٧ (سطر : أسطر / سطور satr (pl.astur,astar , suture)

(٤) منهجية الترتيب.

غلب المنهج الألفبائى على أنظمة ترتيب المصطلحات في معاجم مصطلحات علم المخطوط العربي، والعلة المذكورة – وهي صادقة – هي التيسير على المستعملين.

والحق أن ترتيب المصطلحات ألفبائيا وفق شكلها النهائي في الاستعمال من غير اعتبار الرد إلى الجذور أو الأصول أرقي في باب التيسير على المستعملين، وهو ما فعله الدكتور أحمد شوقي بنبين والدكتور / مصطفي طوبى، ونبها عليه في مقدمات معجمها.

أما آدم جاسيك وإن رتب المصطلحات ألفبائيا إلا أنه راعى أصول المصطلحات أو جذورها التي انحدرت منها وهو ما قلل من التيسير من جانب ولم يراع طبيعة بعض المصطلحات المركبة والأعجمية وهو ما انتقده فيه معجم مصطلحات علم المخطوط العربي.

ولم يذكر آدم جاسيك علة لهذا الترتيب الجذري، واكتفي قائلاص ١٤ = XVI أنه رتب المعجم طبقا للألفبائية على جذور الكلمات.

"the glossary is thus arranged alphabetical according to root of the word which is given in Arabic script "

(٥) استدراكات.

لاشك أن ظهور هذه المعجمات دليل في يد دراسي العربية على مرونتها وقدرتها على مواجهة التطورات المعرفية.

ولا شك أننا نقدر الجهد الرائع الذي اضطلع به أصحاب هذه المعجمات ولا سيما المعجم العربي في المجال، وهو ما يدعونا إلى التنبيه على عدد غير قليل من المصطلحات، ومن المعلومات التي يرجى أن يستدركها الفاضلان الدكتور / أحمد شوقي بنبين والدكتور مصطفي طوبى، وفيما يلي مجموعة من الملاحظات الاستدراكية :

١- خلو المعجم من السمة الموسوعية، بمعنى أنه خلا من إيراد أي من المعلومات الموسوعية المتعلقة بالأعلام أو المؤلفات شديدة الارتباط بمصطلحات علم المخطوط من مثل : ابن درستويه / وابن البواب والسمعانى / والقلقشندى الخ. ومن مثل : أدب الكاتب / كتاب الكتاب / وصبح الأعشى الخ.

٢- خلو المعجم من مصطلحات الضبط في العربية من مثل

- الشدة / الضمة / الفتحة / الكسرة.

٣- خلو المعجم من مصطلحات كثيرة لها علاقة بمادة علم المخطوط العربي من مثل : (مرتبة على منهج المعجم) :

- أما بعد (= فصل الخطاب) : وهي العبارة التي ينتقل فيها الكاتب إلى موضوع كتابه بعد انتهاء صدر الكتاب.

- البرى (برى القلم) : وهو إعداد القلم وتجهيزه للكتابة عن طريق ضبط سنه بسكين بطريقة معروفة.

- سجية الرسم (طبيعة الكاتب في كتابته) : وهي طريقة الكاتب المألوفة في كتابته، وهي تفيد في فحص الكتب المزورة، ويمكن أن تضاف وسيلة لبيان توثيق نسبة المخطوطات إلى أصحابها إن ذكر أنهم كتبوها بخطوطهم.
- فصل الخطاب (انظر : أما بعد)
- فقر منتخبة : نصوص مقتبسة من نص آخر.
- قطع الكلمة : هو توزيعها على سطرين وهو مما يستقبح في عرف الكتاب.
- المنظومة = نوع من التأليف يدون المعارف في صورة نظمية يغلب أن تكون رجزا.
- النسخة المجددة : وهي النسخة الناقصة التي يكتبها ناسخ معين ثم يأتي فيكملها ناسخ غير الأول.

ومما اقترح زيادته كذلك :

- النسخة المورثة / والنسخة اليتيمة.

ومما يصح زيادته على بعض تعريفاته ما يلي :

زيادة : ما يلي في آخر مدخل التعليقة ص ٩٤ :

" وهي آخر كلمة في الصفحة توضع أسفل الصفحة وهي هي التي تبدأ بها الصفحة اليسرى من أعلى لغرض ترتيب أوراق المخطوط، وهي شكل قديم يقوم مقام الترقيم ".

وأقترح زيادة ما يلي في آخر التعليق على المعنى التوقيع ص ١٠٦ " وهو : رد مركز دال على عنى كثير بلفظ قليل، يمثل إجابة على الكتاب ".

واقترح زيادة ما يلي في آخر التعليق على معنى الخاتم ص ١٣٩ " وأول من ختم الكتب النبي صلى الله عليه وسلم حين علم أن الملوك لا تقبل إلا إن الكتب كانت مختومة " [عن الرسالة العذراء ١٣٩]

ويضاف معنى آخر هو : خاتم الكتاب : ربط الكتاب منعا من اطلاع حامله.

كما وقع بعض الملاحظات المتعلقة ببعض علامات الاضطراب المعجم من مثل :

-تعريف البيكار (ص ٦٤) بأنه أداة تستعمل في رسم الأشكال الهندسية في الكتاب ويقال له البر كار.

ويقول في تعريف البر كار (ص ٥٨) : " آلة ذات ساقين ترسم بها الدوائر"، وهم تعريفان مختلفان بعض الاختلاف.

وأصول الصناعة كانت تقتضى أن يعرفها عند أول مرة ترد ثم يذكرها في صورتها الثانية من غير شرح ويستعمل نظام الإحالة المعجمية في الموضع الأول إلى الموضع الثاني، وفي الموضع الثاني لا يشرح ويحيل على الموضع الأول.

ويعلق على معنى التحبيس بما يشعر أنه خاص بالغرب الإسلامى فيقول ٧٢ : هو المصطلح الذي استعمل في الغرب الإسلامى للتعبير عن الوقف. وهذا غير دقيق إذ الحبس (بضمتين) مستعمل في معنى الوقف عند المشاركة، ففي الأم للشافعي باب للحبس أي للأوقاف !

لا يستعمل المعجم العربي التصلية مصدرا في الصلاة مطلقا وإنما يستعمل اسم المصدر (الصلاة) في هذا المعنى دفعا لتوهم المعنى المتعلق بتصلية النيران، وهم يستعملون الصلاة اسما ومصدرا منعا للبس، ومن ثم فالصواب بدلا من مدخل التصلية ص ٩٠ أن يكون المدخل (الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم) ويرد في باب الصاد !

اقترح أن يزيد في التعليق على مدخل الطين ص ٢٣٧ " ويستعمل في ختم الكتب وربطها "

وقع اضطراب في ترتيب المداخل التالية (٣٦٠) :" النسخة العلمية / النسخة المفككة/ النسخة المنصورية / النسخة العالية "

وحسبنا هنا أن نثمن جهاد هؤلاء العلماء الكبار في الكشف عن وجه حضاري رائع طالما أعطى الإنسانية وحنا عليها.

***

ثانيا
معاجم مصطلحات البحث والتأليف
في العربية المعاصرة

(مدخل)

لم يكن مدهشا أن يقرر فرانتز روزنتال أن المسلمين كان لهم إسهام جبار في ميدان التأليف العلمي، وهذا الرأي الذي افتتح به كتابه (مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ص ١٥) جاء مدعوما بما توصل إليه كثير من العلماء الغربيين من أمثال فون كريمر.

وبالإمكان أن نقرر أن وجود جهاز مصطلحي أو مدونة مصطلحات عربية للتأليف والبحث العلمي عند العرب – كاف في هذا السياق لإثبات تفوق الحضارة العربية الاسلامية في باب التأليف والبحث العلمي منذ وقت مبكر مقارنة بما عرفته فيما بعد الحضارة الغربية.

وهذه الحقيقة جاءت نتيجة منطقية للعناية المبكرة التي أولاها الإسلام العظيم لتدبر نصه الأكبر الحاكم في الثقافة العربية وهو الكتاب العزيز، فضلا عن العناية المبكرة التي تجلت في الحث على القراءة والبحث والتأمل على مستوى النصوص المشرعة في القرآن الكريم والسنة المشرفة وعلى مستوى الواقع منذ زمان مبكر جدا يعود إلى عصر النبوة.

(١) العناية بمصطلحات التأليف والبحث العلمي في الحضارة الاسلامية قديما.

ظهرت عناية الثقافة العربية الاسلامية بمصطلحات التأليف والبحث العلمي في ميادين متنوعة يمكن إجمالها فيما يلي :

أولا – معاجم المصطلحات المتعددة العلوم (أو ما نسميها باسم معاجم المصطلحيات العربية) من مثل : مفاتيح العلوم للخوارزمي، والتعريف للجرجاني،

والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوى، وجامع العلوم للأحمد نكرى وكشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوى.

ثانيا – مصنفات تصنيف العلوم، ذلك أن هذه المصنفات غايتها التعريف بالعلوم المختلفة، وبطرائق تصنيفها، ومن أشهر ما عرفه التأليف العربي في هذا الباب المعرفي : إحصاء العلوم للفارابي، وطبقات العلوم لصاعد، وترتيب العلوم، لساجقلى زاده.

ثالثا- مصنفات الفهارس والببليوجرافيا العربية، التي اعتنت برصد الإسهام العلمي عبر التاريخ من مثل : الفهرست، للنديم، ومفتاح السعادة، لطاش كبرى زاده، كشف الظنون، لحاجى خليفة

رابعا- مصنفات علم الحديث (الدراية)؛ لما فيها من عناية فائقة بطرق تحمل العلم وأدائه وكيفية نقد المتن وغيرها من المسائل المهمة جدا في التأليف والبحث العلمي، من مثل : تدريب الراوي، للسيوطي، والجامع، للخطيب البغدادي، والإلماع، للقاضي عياض.

خامسا – مؤلفات أصول الفقه ومعاجمه؛ لاهتمامها بالمجتهد وشروطه، وهي كثيرة تملأ المكتبة العربية من مثل : الحدود للباجى، والتعريفات الدقيقة لزكريا الأنصاري، وبيان كشف الألفاظ التي لابد للفقيه من معرفتها، للامشى الحنفي، المنسوب خطأ للأبذى المصري.

ولا يمكن التغافل هنا عن مؤلفات علم الأصول والجدل والمناظرة والمنطق، لعنايتها جميعا بطرائق الاستدلال، ونقص الأدلة، وعكسها، وبيان بطلان الباطل منها، ورد أقوال الخصوم. وكلها من لوازم عمل الباحث في التأليف والبحث العلمي.

سادسا – مؤلفات تحقيق التراث وإعداد البحوث ومناهجها، ومؤلفات أصول التوثيق ونشر الكتب وعلم المكتبات والوثائق، وعلم المخطوط العربي، وهي كثيرة جدا ومتنوعة تنوعا خصبا.

واعتماد ما ورد في هذه المصنفات كاف في إخراج معجم غزير المادة لمصطلحية البحث العلمي عند العرب، وهو ما يعكس الوجه الحضاري الرائع للثقافة العربية الاسلامية في عطائها المعرفي للإنسانية في هذا المجال الخطير.

وقد كان لغياب كثير جدا من هذه المصادر عن المعاجم المصنوعة حديثا لمصطلحات التأليف والبحث العلمي عند العرب – أثر ظاهر في إخلالها بعدد كبير من هذه المصطلحات لم تظهر فيما بين أيدينا من هذه المعاجم المعاصرة.

وفيما يلي أمثلة لمصطلحات التأليف والبحث العلمي العربية توافرت فيما رصدته من المصادر التي تعد أصلا لازما لصناعة أمثال هذه المعجمات، وهي من مصدر واحد فقط هو معجم التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوى المصري (ت ١٠٣١هـ) [التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت/ دمشق، ط١، سنة ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م، (ص ٤٥/٣٣٥/٥١١/٥٣٩/٦٣٣)]:

- آداب البحث = صناعة نظرية؛ لاستفادة كيفية المناظرة، وشروطها صونا عن الخبط في البحث، وإلزاما للخصم وإفحاما.
- الدخيل = وقولهم : هذا الفرع دخيل في الباب؛ أي : ذكر استطردا أو لمناسبة، ولا يشتمل عليه عقد الباب
- العرض = وله معان منها : استظهار الكتاب حفظا، ومقابلته بنسخة صحيحة؛ لتصحيحه وضبطه.
- الغصب = في آداب البحث : منع مقدمة الدليل، وإقامة الدليل على نفيها قبل إقامة المعلل الدليل على ثبوتها سواء لزم إثبات الحكم المتنازع فيه ضمنا أم لا.
- المبادئ = هي التي تتوقف عليها مسائل العلم، كتحرير المذاهب، وتقرير المباحث، فللبحث أجزاء مترتبة بعضها على بعض، وهي المبادئ والأواسط والمقاطع والمقدمات التي تنتهي الأدلة والحجج إليها.

وهذه أمثلة قليلة جدا لما تحتفظ به لغة العرب في هذا المجال المهم، مما يمكن الإفادة منه، وهو ما كان لغيابه الأثر السلبي في معاجم مصطلحات التأليف والبحث العلمي العربية المعاصرة.

(٢) معاجم مصطلحات التأليف والبحث العلمي العربية المعاصرة:

اجتهد المعاصرون من علماء العربية في قطاع كبير من قطاعات العمل المعجمي ولا سيما المختص أن يبتكروا أنواعا من المعاجم لم تلق العناية اللائقة بها قديما من جانب، أو أن يدفعوا بهذه المعاجم بعضا من الاتهامات أو الأخطاء الشائعة في مجال معرفي معين.

هذه الصورة هي التي حكمت ظهور معاجم مصطلحات التأليف

والبحث العلمي العربية المعاصرة، يقول الدكتور / أحمد جاسم النجدي : "من الأفكار الشائعة بين كثير من الباحثين فكرة تشير إلى أن منهج البحث – علم اقتبسناه من الغربيين ضمن ما اقتبسناه في بداية عصر نهضتنا من علوم وفنون. ولم يكن اقتبسنا هذا العلم مقتصرا على خطواته ومبادئه فقط، بل شمل كثيرا من مصطلحاته الدالة على خطوة من تلك الخطوات، أو مبدأ من تلك المبادئ بعد ترجمتها إلى لغتنا واستعمالها بمدلول يدل على تلك المبادئ والخطوات" [مصطلحات البحث والتأليف الأدبي عند العرب، للدكتور أحمد جاسم النجدي (ضمن: كتاب لمورد: دراسات في اللغة، بغداد ١٩٨٦م)، ص١١٩].

ويؤكد الدكتور / عبد الله بن محمد أبو داهش أن الدافع وراء عنايته بجمع مصطلحات البحث العلمي – هي أنها متفرقة في غير ما مكان مما يفوت فرص الإفادة منها.

وقد عرف التصنيف المعجمي العربي المعاصر معجمين لمصطلحات التأليف والبحث العلمي، هما كما يلي :

(أ) (معجم) مصطلحات البحث والتأليف الأدبي عند العرب، للدكتور أحمد جاسم النجدي ١٩٨٦م، صدر ضمن كتاب المورد بعنوان : دراسات في اللغة، تحرير / طراد الكبيسى، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد سنة ١٩٨٦م (ص ١١٧-١٤٤).

(ب) معجم مصطلحات البحث العلمي، للدكتور عبد الله بن محمد أبى داهش، سنة ١٤١٨هـ= ١٩٩٨م / صدر عن مكتبة العبيكان، الرياض سنة ١٤١٨هـ= ١٩٩٨م ص ١٩١.

(١/٢) وظائف مهمة.

وفحص الأهداف التي حكمت ظهور هذين المعجمين يعكس عنايتهما **بتحقيق الوظائف والأغراض** التالية :

أولا – الوظيفة الحضارية؛ أي البرهنة على تقدم العلم في الثقافة العربية الاسلامية في ميدان البحث والتأليف، من خلال جمع مصطلحاته واستعمالها برهانا على عطاءات هذه الحضارة وسبقها في ميدان البحث العلمي ومناهجه مقارنة بغيرها من ثقافات الألسنة الأخرى.

وهذه الوظيفة هي التي حكمت ما صنعه الدكتور / أحمد جاسم النجدي وظهرت صراحة في تقديمه كما مر بنا.

ثانيا – الوظيفة المعرفية / العلمية، ويقصد بها العناية بالمفاهيم

و التصورات التي تحملها هذه المصطلحات، ولا سيما بعد تقادم العهد بها، يقول الدكتور / النجدي (ص ١١٩) : " وفائدة أخرى يفيدنا إياها جمع هذه المصطلحات القديمة وإظهارها، ذلك أن بعض من يطالع كتابا من كتبنا الأدبية القديمة – قد يمر بالمصطلح فيتبادر إلى ذهنه المعنى اللغوى للمصطلح، أو المعنى الشائع له الذي قد يكون مخالفا لمعناه الاصطلاحي عند القدامى، ومن ثم يفهم النص الذي يقرؤه على غير وجهته الصحيحة؛ وبهذا يقوم البحث (يقصد معجم مصطلحات التأليف والبحث العلمي) بمساهمة نحسب لها فائدتها في تيسير قراءة النص ".

وهو ما يؤكده الدكتور / عبد الله أبو داهش في صدر مقدمته لمعجمه في مصطلحات البحث العلمي (ص ٧) حيث يقرر أنه : " لم يكن في عدة الباحث وأدواته ما يفي بمعاني المصطلحات العلمية الواردة في هذا المعجم؛ مما دعا لجمعها وترتيبها ".

ثالثا – الوظيفة التربوية والأخلاقية، ويقصد بها أثر هذين المعجمين في المبادئ التي تتسرب إلى أنفس المستعملين من تأمل كثير جدا من المداخل / المصطلحات التي تحمل قيما تربوية وأخلاقية، ولا سيما أن عددا ضخما من مصطلحات التأليف والبحث العلمي تتعلق بآداب البحث وأخلاق العلم وسمات الباحث وآداب التلقي، وأخلاق النقل.

(٢/٢) منهجية ترتيب المصطلحات في معاجم مصطلحات التأليف والبحث العلمي :

لم يكن غريبا أن يرتب الدكتور / أبو داهش مصطلحات معجمه في مصطلحات البحث العلمي وفق المنهج الهجائي الألفبائى النهائي؛ أي من غير اعتبار للحروف الجذور أو الأصول، وهو المنهج الأشهر من معيار التيسير، ولا شك أن ذلك يعكس وعيا معجميا معاصرا من جانب ويعكس وعيا بضرورة توفير مبدأ التيسير في العمليات المختلفة في البحث والتأليف.

ومراجعة المصطلحات التالية، وهي منقولة حسب ورودها عنده – دالة على هذا المنهج المتبع) مداخل باب الباء)

- الباب = جزء من المحتوى العلمي في الكتب أو البحوث العلمية... ص ٩٨
- الباحث = المؤلف المستقصى ذو صفات العلمية... ص ٩٨
- البحاث = كالباحث..ص٩٨
- البحاثة = المصنف العالم ذو القدرة على التدوين والتأليف... ص ٩٩
- البحث = بذل الجهد في موضع ما وجمع المسائل التي تتصل به...ص ٩٩
- البسملة = ما تفتتح به البحوث العلمية... ص ٩٩
- البشر = إزالة بعض المكتوب بالسكين بطريقة معينة...ص ١٠٠
- البطاقة = ورقة مصممة بشكل معين تستعمل في جمع المادة العلمية... ص ١٠٠

فهذه المصطلحات التي تدخلنا في بعض تعريفاتها منقولة بترتيبها من المعجم المشار إليه وهي تدل على المنهج الذي وصفناه والعلة الظاهرة من هذا المنهج هي التيسير بل الإنعام في التيسير ولا شك.

وهذا المنهج هو الذي يدعم الوظيفة العلمية التي هدف إليها صانع هذا المعجم ٠

أما الدكتور / أحمد جاسم النجدي فقد خالف ولم يرتب مداخل / أو مصطلحا(معجمه) وفق المنهج الألفبائى،و إنما جاءت مداخله عشوائية لا تخضع لمنهج ترتيبي في الظاهر، كما يلي : (الأصول / التأليف / الباب / الترجمة / الثبت / التحرير / الدفتر / الديوان / الرسالة / المعارضة / التعليق / المقابلة / الكتاب / المظان / النسخ / أنشد).

ولعل عدم انشغال الدكتور النجدي بالترتيب على الرغم من قلة المصطلحات التي أوردها – راجع إلى اهتمامه بما سميناه بالوظيفة الحضارية؛ أي اهتمامه بإعادة الاعتبار لمنهجية البحث العلمي عند العرب من خلال مجموعة من مصطلحات التأليفوالبحث تكون قادرة على تصحيح التصور المغلوط المتعلق بعلاقة العرب القدامى بالبحث العلمي.

وتسمية هذه المحاولة معجما تحمل شيئا غير قليل من التجوز والتوسع، وإلا فهي في الحقيقة محاولة مبدئية، تنتمي لما يسمى بتوائم المفردات ترمى إلى التدليل على غاية محددة.

(٣) الطريق ما زال طويلا .

وتأمل هاتين المحاولتين على ما أصابهما من نقص يفتح الباب واسعا للقول بأن الحاجة إلى معجمات تعنى بمصطلحات التأليف والبحث العلمي في العربية – ما تزال ملحة جدا، لاعتبارات كثيرة لعل أهمها أن غايات التأليف والبحث العلمي عند العرب مختلفة تماما عن الغايات المتواترة عند غيرهم، وهو الأمر الذي يتعرض لكثير من الضبابية بتأثير من غول الثقافة الغربية، ومن شأن العناية بمعاجم مصطلحات التأليفوالبحث العلمي عند العرب أن يعيد تصحيح التصورات والمفاهيم المرتبطة بهذا الميدان التي ظلت على امتداد التاريخ الإسلامى مرتبطة بقيم التوحيد والربانية والإعمار وتزكية الأنفس والتراحم، وهو ما غاب غيابا ظاهرا عن ميادين البحث العلمي في الحضارة الغربية المعاصرة.

ثالثا
معاجم مصطلحات الوثائق والأرشيف في العربية
مصادرها ووظائفها

مدخل : التوثيق من الدين !

ربما صح في هذا المفتتح أن نستدعى معا تراثا ضخما من النصوص المتنوعة والغزيرة والراقية تقود إلى ما تقدم في مدخل هذه الورقة والنظر إليه على أنه أشبه شيء بالقانون المستقر الحاكم في الثقافة العربية والإسلامية؛ بفعل الحراك الجبار الذي فجره القرآن الكريم، وما ظهر في محيط خدمته، ورعايته، وهو الأمر الذي يؤكده الدكتور / محمد ماهر حمادة بقوله : " ولقد أحدث ظهور الإسلام وانتشاره ثورة في كل نواحى حياة العرب، ونقلهم الله تعالى به من الظلمات إلى النور على يدى سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه...و لقد ازداد احتياج المسلمين إلى المواد للتسجيل احتياجا كبيرا جدا، بسبب انتشار التعليم والمراسلات الحكومية والسجلات الرسمية، وتأليف الكتب" [المواد التي استعملها المسلمون في الكتابة، الدكتور ماهر محمد حمادة، ص ٥٨، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية، ع ٩، لسنة ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م].

وهذه الأسباب المرصودة في العبارة السابقة ليست حصرية بطبيعة الحال، وإنما هي أمثلة لعدد من الأسباب التي دعت إلى التوثيق.

والتوثيق في المعرفة المعاصرة علم يرعى: " تنظيم الوثائق والبيانات، وحفظها بما في ذلك تحديد مكانها، والتعرف عليها، واقتنائها، وتحليلها، وتخزينها، واسترجاعها، وتقديمها، وعرضها وتسهيل تداولها، وتقديم المعلومات للمستفيدين " [معجم المصطلحات الأرشيفية، لبيتر فالن، ترجمة غسان منير سنو الدار العربية للعلوم، سلسلة المجلس الدولى للأرشيف رقم ٧، بيروت سنة ١٩٩٠م ص ٧٢-٧٣، مصطلح ١٤١].

وأمر المعرفة العربية والإسلامية بهذا المفهوم قديم جدا شاهد على عراقة المنجز الإسلامي والعربي في هذا الميدان بدرجة كبيرة مزدهرة ومتقنة.

ولا سبيل بحال للمقارنة بين وضع التوثيق في التاريخ العربي عبر مرحلتين هما : عصر الجاهلية، وعصر الإسلام؛ ذلك أن ما أنتجه الإسلام وتطور به في اتجاه خدمة العلم، وتوثيق الحياة ربما صح أن يكون أعظم منجز عرفته الإنسانية على امتداد تاريخها كله كما وكيفا.

ومع هذا السبق المرصود للمنجز العربي والإسلامى قديما في مجال خدمة علم التوثيق والأرشفة – فإن ثمة تأخرا ظاهرا يحيط بالمنجز العربي المعاصر في الميدان نفسه، وهو التأخر الذي انسحب بظلاله على تأخر العناية بمصطلحية الوثائق والأرشيف في اللسان العربي في التاريخ المعجمى المعاصر.

(١) مصادر مصطلحات الوثائق عند العرب.

وفي ما يلي محاولة تسعى إلى رصد المصادر الأساسية التي تعد المنبع اللازم الرجوع إليه لجمع مادة معجم مصطلحات الوثائق والأرشيف العربية، ويمكن تقسيمها إلى **مصادر الأولية، ومصادر مركزية**، وفيما يلي بيان **للمصادر الأولية** وما يندرج تحتها :

(١/١) المصادر الأولية :

أولا- المصنفات التاريخية:

فإذا كان علم الوثائق معنيا في المقام الأول بكل ما يتعلق بالوثيقة في بعدها المادى والمضمونى – فإن القول بأن أول المصنفات لزوما لصناعة معجم لمصطلحات الوثائق هي المصنفات التاريخية يعد أمرا منطقيا وطبيعيا في الوقت نفسه، يستوى في هذا مصنفات التاريخ العام أو الخاص، الموسعة أو المختصرة، أيا ما كانت مناهجها التصنيفية؛ ذلك أن الحضارة العربية والإسلامية تملك مكتبة تاريخية جبارة ومدهشة ومتنوعة، وهي بدورها تحتفظ بعدد هائل من الوثائق التاريخية والقانونية بالمعنى الواسع، وفي هذا السبيل يلزم صناعة قوائم موسعة ومفصلة بالمكتبة التاريخية العربية تمهيدا لفحص ما تحويه من ألفاظ خادمة للوثائق المحفوظة بها.

وفي هذا السياق نذكر بالموسوعات التاريخية الكبرى العامة من مثل: تاريخ الطبرى، والكامل في التاريخ لابن الأثير، والبداية والنهاية لابن كثير، والطبقات الكبرى لابن

سعد، والمجموعات المتنوعة في تاريخ الطبقات المختلفة، كتاريخ العلماء في الميادين المختلفة، والمجموعات المتنوعة الخاصة بتواريخ الأمصار، والفتوحات إلخ، ولا يمكن إغفال مصنفات السيرة النبوية المشرفة، وما صنف في إدارة الدولة في ذلك العصر، وما بعده.

ثانيا – مصنفات علم التحديث = (علم الحديث : الدراية):

ذلك أن علم الحديث النبوى الشريف في فروع الدراسة يعنى في جزء كبير من مفرداته بتوثيق الحديث، وطرق تحمله، وحفظه، وتدوينه، وفحص سنده، وتوثيق أحوال رواته، ومناهج مصنفاته، وتحليلها، ومناقشة أحواله ضبطا وتمريضا، ودراسة كتبه المختلفة.

وفي هذا الإطار تقف المجموعة التالية زاخرة بعدد هائل من مصطلحات التوثيق والحفظ يمكن أن تكون زادا رائعا في الطريق نحو صناعة معجم عربى لمصطلحية علم الوثائق والأرشيف: الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع، للخطيب البغدادى، والكفاية في علم الرواية له أيضا، وتوجيه النظر إلى أصول الأثر، لطاهر بن صالح الجزائرى.

ويتفرع عن هذا النوع من المصادر اتجاه ظهر حديثا اعتنى في المقام الأول بما يمكن أن يسمى : مدخلا معاصرا لتوثيق السنة، وهو فرع نما وتطور وتنوعت مؤلفاته المعاصرة؛ لأسباب عديدة معرفية أكاديمية من جانب، وحركية ودعوية بسبب من تنامى ظاهرة الصحوة الإسلامية المعاصرة التي اشتبكت في بعض جوانبها بمزاعم المستشرقين حول صحة السنة وتوثيقها.

وفي هذا السياق ترد مجموعة ضخمة من المؤلفات المعاصرة التي تفرعت لخدمة هذا الباب العلمى زخر بعدد وافر من الألفاظ الدائرة في فلك خدمة الوثائق من مثل : المدخل على توثيق السنة للدكتور رفعت فوزى، وتدوين الحديث لمناظر أحسن الكيلانى والسنة ومكانتها في التشريع الإسلامى للدكتور مصطفي السباعى، وحجية السنة، للدكتور عبد الغنى عبد الخالق، والسيدة عائشةو توثيقها للسنة، لجيهان رفعت فوزى، وغير ذلك كثير جدا.

ثالثا- مصنفات الرسائل من عصر النبى صلى الله عليه وسلم إلى ما بعد ذلك من العصور ، من مثل:

كتاب ابن طولون الدمشقى : إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين والمصباح المضئ في كتاب النبى لابن حديدة.

وقد تطورت هذه المصنفات مع الزمن، فظهرت مدونات مختلفة جامعة لأنواع الوثائق، وهو بعض ما ترى أمثلة له في صنيع الدكتور محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية في العصر النبوى وعصر الخلفاء الراشدين، وجمهرة خطب العرب ورسائلهم لزكى صفوت وغيرها.

كما ظهرت في العصر الحديث مدونات أخرى للتوقيعات، وهي بعض مما يمكن أن يندرج تحت مصطلح معروف في علم التوثيق هو (إحاطة) وهو المكتوب الذي يحوى أمرا أو طلبا؛ بغرض الإعلام به، وأجمع مدونة ظهرت حتى الآن هي : جمهرة توقيعات العرب، للدكتور محمد محمود الدروبى، والدكتور صلاح محمد جرار.

رابعا- مصنفات علم الكتابة والإنشاء عند العرب، وهي المصنفات التي ظهرت؛ كأثر من آثار خدمة إدارة الدولة، فيما عرف باسم دواوين الإنشاء، ترعى الكتابة وفنونها المختلفة، وأدواتها، وما يلزم العاملين في مجالها، ولعل أهم عمل موسوعى عرفته الثقافة العربية هو كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندى، ويأتى بعده في الأهمية كتاب نهاية الأدب للنزيرى، بما ضمه من أبواب تعنى بصناعة الكتابة والإنشاء والصناعات الدائرة في فلكها.

خامسا- مصنفات وظائف الدولة الإسلامية، وهو وجه تصنيفي عرف في الثقافة العربية اعتنى برصد أسماء الوظائف العربية التي عرفتها الدولة الإسلامية، من مثل معيد النعم ومبيد النقم، للسبكى، وسكردان السلطان لابن أبى حجلة التلمسانى، وتخريج الدلالات السمعية على ما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصناعات والعمالات الشرعية للخراعى التلمسانى، والتراتيب الإدارية للكتانى وغيرها .

سادسا- الأدبيات الكثيرة في عدد من العلوم المساعدة التي تعنى بعض بحوثها بعلم الوثائق من مثل : علم المخطوطات، ومصنفات المصادر اللغوية والأدبية والتاريخية إلخ ولاسيما في البحوث التمهيدية المتعلقة بقضايا تدوين التراث وحفظه، وعلم الخط، وفلسفة العلم عند المسلمين في البحوث الخاصة بمواد الكتابة، وصناعة الأحبار، والورق، وبعض بحوث علم الكيمياء المتعلقة بصياغة المواد الوثائقية، وبعض البحوث الخاصة بمقاومة الحشرات، ومقاومة آثار الرطوبة، وهو باب ضخم جدا يحتاج إلى صبر حقيقى، وإلى تضافر الجهود للقيام بعبء أدائه، واتساع الأفق لا يفوت شيئ ضار ببنية مصطلحات هذا العلم ولا سيما أن مصطلحات الوثائق منسربة في بنية علوم كثيرة جدا بما فيها الفقه في أبواب التوثيق.

(٢/١) المصادر المركزية لمصطلحات الوثائق في العربية.

لقد حاول هذا المقال أن يشير إلى أن التوافر على صناعة معجم عربى واسع لمصطلحات علم الوثائق؛ الذي عرفت الحضارة الإسلامية قدره منذ زمان طويل، وأسهمت في تطويره تاريخيا – يحتاج إلى فحص عدد ضخم من مصنفات عدد من العلوم المساعدة الدائرة في فلك هذا العلم فيما مر من فقرات.

ولكن الحق يقرر أن ثمة مصادر أخرى اقرب رحما بهذا العلم، ويقود فحصها على خدمة مصطلحية علم الوثائق بشكل ظاهر، وهي التي نسميها هنا المصادر المركزية، وهي كما يلي :

أولا- الدراسات المعاصرة في علم الوثائق نفسه

فعلى الرغم من حداثة هذا العلم في التاريخ المعاصر فإن عدد لا بأس به من الدراسات قامت للتعريف به، ولتأسيس مبادئه، وبيان مسائله.

صحيح أن هذه الدراسات المعاصرة عرفت بعضا من إسهام العرب والمسلمين في تقدم علم التوثيق لكنها معرفة كانت تأتى دائما على سبيل التمهيد، ولكن الجهد الأكبر كان متوافرا لبيان الإسهامات الغربية في الميدان، وهذه البحوث أو تلك لازمة على طريق صناعة معجم لمصطلحات الوثائق.

وفي هذا السياق ترد أسماء لها وزن في خدمة علم الوثائق في العربية المعاصرة من مثل الدكتور حسن على حسن الحلوة والدكتورة سلوى على ميلاد والدكتور قاسم السامرائى والدكتور زينب محمد محفوظ هنا والدكتور جمال إبراهيم الخولى والدكتور سالم الألوسيوالدكتور عبد اللطيف إبراهيم على والدكتور محمود عباس حمودة والدكتور توفيق إسكندر ومحمد ماهر حمادة وغيرهم. وقد جاءت مؤلفاتهم لتحمل عناوين تعرضت لقدر من التطور نحو التعريب الخالص وأشهرها متدرجة من الانحسار إلى الانتشار : الأرشيفستيقا، ثم علم الدبلوماتيك ثم علم الوثائق.

ثانيا- معاجم مصطلحات علم المكتبات:

ظهر علم الوثائق بما هو فرع من تخصص علم المكتبات، صحيح أن عددا من أقسام المكتبات في الجامعات العربية حرصت على إبراز تفرده عندما أظهرته ونصت عليه في عنواناتها لتظهر أقسام المكتبات والوثائق، وهو العطف الدال على التمايز والاستقلال من جهة من دون أن ينفي هذا العطف المقصود بطبيعة الحال التداخل العلمى والفنى بين التخصصين اللذين يجمعها رحم واحدة.

وقد عرفت المكتبة العربية عددا طيبا من معاجم مصطلحات علم المكتبات هي من لوازم العناية بمصطلحات علم الوثائق، من مثل : معجم المصطلحات المكتبية للدكتور محمد أمين البنهاوى (١٩٧٠م) ومعجم علوم المكتبات والمعلومات للدكتور ياسر عبد المعطى والدكتورة تريسالشر (٢٠٠٣م)

وفي هذا السياق لا يصح إلا جمع كل المحاولات المعجمية المبكرة من عمر خدمة هذا العلم في العصر الحديث؛ بمعنى أنه يلزم جمع ما صنع من قوائم لمصطلحات هذا العلم من مثل قائمة المصطلحات المكتبية التي صنعها أمثال : يوسف أسعد داغر وفوزى راجى أبى حيدر وفضلو رزق (١٩٦١م) ثم شعبان عبد العزيز خليفة (١٩٦٦م/١٩٦٧م) وكذلك ما نقل عن اللغات الأجنبية من مثل ما صنعه محمد أحمد حسين والدكتور أحمد كابش والدكتور محمود الشنيطى (١٩٦٥م)، إلى غير ذلك.

ثالثا- معاجم المصطلحات متعددة العلوم عند العرب :

ومما هو معروف أن الثقافة العربية عرفت تراثا ظاهرا جمع مصطلحات العلوم المختلفة التي عرفتها الحضارة العربية الإسلامية، وقد ضمت عددا ضخما من مصطلحات التوثيق؛ بطبيعة التداخل المعرفي الذي يربط علم الوثائق بعدد كبير من العلوم، وهو ما ظهر في توزع عدد كبير من مصطلحات هذا العلم على قوائم مصطلحات هذه العلوم المتداخلة معه.

وقد عرف التصنيف المعجمى المختص في العربية قائمة طويلة جمعت مصطلحات العلوم المختلفة من مثل : مفاتيح العلوم للخوارزمى، والتعريفات للجرجانى، والتعريفات والاصطلاحات، لابن كمال باشا، ومقاليد العلوم في الحدود والرسوم المنسوب للسيوطى، والكليات للكفوى، وكشاف اصطلاحات العلوم، للتهانوى وغيرها.

رابعا- معاجم مصطلحات علوم مصطلح الحديث :

وهو ما ثبت لنا سلفا أن علم مصطلح الحديث من أهم العلوم الإسلامية التي اعتنت بعدد ضخم من بحوث علم التوثيق.

والمكتبة العربية زاخرة بعدد كبير من معاجم المصطلحات الحديثية قديما وحديثا؛ من مثل: معجم مصطلحات الحديث النبوى لمجمع اللغة العربية بالقاهرة وقد سبق لنا أن عالجنا أمر هذه المعاجم في عدد سابق من أعداد مجلة الوعى الإسلامى.

خامسا- معاجم مصطلحات الفقه الإسلامى :

عرف الفقه الإسلامى؛ بما هو مهم برعاية أحوال الإنسان في شمول منحدر من شمول الشريعة – أبواب – تعنى بالتوثيق من مثل أبواب البيوع والعقود والمكاتبة إلخ، وهو ما دار في فلكها عدد من مصطلحات الوثائق.

وللدكتور خالد فهمى كتاب جمع فيه معاجم مصطلحات الفقه، ودرسها وصنفها.

سادسا- معاجم مصطلحات علم المخطوط

وإذا كان علم المخطوط يتداخل مع علم الوثائق تداخلا ظاهرا فإن ثمة عناية واضحة بعدد من مصطلحات الوثائق وردت بها هي جزء أصيل في بنية مصطلحية علم المخطوط عند العرب، وهو ما يحتم أن تكون معاجم مصطلحات علم المخطوط من المصادر المركزية لمصطلحات علم الوثائق، وفي التاريخ المعاصر ظهر بعض هذه المعاجم من مثل : معجم شوقى بنين، وآدم جاسيك وغيرهما. ولنا مقال سابق عنها في مجلة الوعى الإسلامى.

(٢) الإسهام المعاصر في معجمية مصطلحات علم الوثائق والأرشيف في العربية.

لقد ظهرت ملامح للعناية بمصطلحات التوثيق في العربية المعاصرة جاء بعضها مترجما لنصوص معجمية أجنبية، وجاء بعضها الآخر عربى الوضع ابتداء؛ لم يخف أنه أفاد من المعاجم الغربية، ولكنه قرر أنه لم يهمل المنجز العربي في هذا الميدان ولا سيما في منظوره التراثى العريق وفيما يلي بيان لمحاولتين معاصرتين في مجال معجمية مصطلحات علم الوثائق :

١- قاموس الوثائق والأرشيف، للدكتور سلوى على ميلاد (دار الشروق،جدة الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م) وهو معجم ثلاثى اللغة؛ أي أن المدخل المصطلح جاء بالعربية ثم شرح، وعرف بالعربية مع ذكر المكافئ الترجمى بالإنجليزية والفرنسية؛ أي أنه معجم عربى / إنجليزى / فرنسى.

وقد ضم ستة وثلاثين ومئتين (٢٣٦) مصطلحا توزعت على خدمة مسائل علم الوثائق المختلفة من الحفظ والصيانة والترميم والحفظ والتحليل إلخ.

وقد أحسنت صانعة المعجم عندما رتبت مداخل المعجم على رعاية المصطلح في صورته النهائية المستعملة في بنية العلم في الصورة المعاصرة، من دون مراعاة لمبدأ التجذير (أو الرد إلى الجذور) وهو ترتيب ينطلق من منظور معتبر في المعجمية المعاصرة يعرف بمنظور التيسير على المستعمل.

وهو مبدأ محمود من وجهة النظر الإسلامية التي ترعى أصولها العامة المستقرة فكرة التيسير على الخلق.

ومع التقدير الواجب لهذه المحاولة فإن ثمة قصورا يتمثل في إخلال هذه المعجم بعدد من مصطلحات علم الوثائق والأرشيف من مثل : (إبادة الحشرات / والتبخير / وتأطير /و ترميم)، وغير ذلك كثير. ولكن إذا نظر إليه في ضوء أن هذا المعجم هو من المحاولات المبكرة أمكن الاعتذار له بهذا.

٢- معجم المصطلحات الأرشيفية، لبيتر فالن، ترجمه وفهرس له غسان منير سنو (الدار العربية للعلوم، بيروت سنة ١٩٩٠م) وكان صدرت طبعته الأولى كما يظهر من مقدمته الإنجليزية سنة ١٩٨٤م ثم طبع ثانية سنة ١٩٨٨م)

وهو معجم متعدد اللغات؛ صحيح أنه يقدم المداخل والشروح أساسا بثلاث لغات هي الإنجليزية والفرنسية والعربية على الولاء والترتيب؛ ولكن يقدم مكافئات ترجمية للمصطلحات أو المداخل باللغات الهولندية والألمانية والإيطالية والروسية والإسبانية؛ مما دفعنا إلى تصنيفه معجما متعدد اللغات Multi Dic.

وقد احتفظت هذه الطبعة العربية بالترتيب الأصلى، أي بترتيب المداخل أو المصطلحات وفق الترتيب الالفبائى للإنجليزية والفرنسية، ولولا كشاف المصطلحات العربية الذي صنعه غسان منير سنو ص ٢٦١-٢٧٨ لشق على المستعملين العرب الإفادة منه.

وقد ضم ستة وثمانين وأربعمئة مدخلا أو مصطلحات، وهو ما يعكس التطور الذي حققته المصطلحية الوثائقية في الغرب مقارنة بما في العربية المعاصرة.

والتوجه الآن لصناعة معجم حديث يجمع مصطلحية هذا العلم سيضمن مضاعفة عدد هذه المداخل؛ لاعتبارات كثيرة حققت تطور علم الوثائق والأرشيف، مما انعكس بالضرورة على بنية جهازه الاصطلاحى.

(٣) وظائف مصطلحات علم الوثائق.

يحكم البحث المعجمى والمصطلحى في فروعه المختلفة تأريخا ونقد وتصنيفا الدوران في فلك الوظيفة؛ بمعنى أن معيار الوظيفة المنوط بالأعمال المعجمية القيام بها حاكم في أشكال العناية بالصناعة المعجمية العامة والمختصة.

والعناية القديمة والحديثة المتنامية بمصطلحية علم الوثائق تحقق عددا بارزا من الوظائف؛ يمكن إجمال أهمها فيما يلي :

أولا- الوظيفة اللسانية:

والمقصود بهذه الوظيفة انعكاس تطور المصطلح الوثائقى على تنمية بنية اللسان العربي في مناطق متنوعة، والحق أن تنامى العناية بمصطلحية علم الوثائق والأرشيف قائد إلى إفادة العربية من زوايا مختلفة منها :

١- تنمية الثروة اللفظية، وتحقيق الغنى على مستوى الذخيرة اللغوية، مما يزيد ثراء المعجم العربي المختص مع مرور الزمن.

٢- البرهنة على مرونة النظام اللغوى العربي ولا سيما في قدرتها على توليد ألفاظ جديدة للدلالة على مفاهيم مستحدثة من جانب، ولقدرتها على استيعاب عدد من الألفاظ الأجنبية بعد تطويعها لنظام أبنتيها الصرفية.

٣-خدمة مشروع المعجم التاريخى للعربية، وذلك بملاحظة ميلاد الألفاظ الوثائقية، والتاريخ لهذا الميلاد مع مرور الزمن، وبملاحظة موت بعض آخر من هذه الألفاظ؛ نظرا لتطور العلم في غير فرع من فروع علم الوثائق.

٤-الإسهام في تطوير دراسات تطور الأساليب اللغوية والتراكيب.

ثانيا- الوظيفة المعرفية والتعليمية

والمقصود بهذه الوظيفة ما تقدمه المصطلحات الوثائقية من خدمات لتقريب مسائل العلم، وتيسيرها، وتداول مفاهيمها، ويظهر في هذا السياق أن صناعة بعض المصطلحات العربية لعلم الوثائق ولاسيما تلك المنقولة عن المنجز الغربى تعين على

توطين المعرفة الوثائقية في الثقافة العربية المعاصرة؛ سعيا إلى تطوير النظرية التوثيقية العربية الممتدة الجذور تراثيا.

هذا بالإضافة إلى ما تحققه العناية بمصطلحات هذا العلم من الارتقاء بعملية تعليم علم الوثائق.

ثالثا- الوظيفة التاريخية والحضارية

إن المستقر في النظر إلى الوثائق بما هي مادة تمثل أصلا في كثير جدا من العلوم المختلفة يقود إلى الإقرار بأن العناية بخدمة الجهاز الاصطلاحى لعلم الوثائق تحقق خدمات جليلة للدراسة التاريخية والحضارية والاجتماعية، وتطور الإنسان خلال التاريخ، كما تعين على تطوير عدد كبير من الدراسات اللغوية، والدراسات القانونية في جوانب متعددة متعلقة بلغة الوثائق، وتراكيبها، وصحتها، ومادتها، وخطوطها، والمواد التي كتبت بها إلخ.

وهو الأمر الذي يقود إلى نهضة وظيفة الوعى بحياة الإنسان وترقيه في سلم الحضارة، وتحقيق الإعمار.

رابعا- الوظيفة الدينية

ذلك أن علم الوثائق بجهازه الاصطلاحى يمكن أن يعين على تطوير بعض بحوث دراسات المتن الخاصة بالحديث النبوى في باب الوضع والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وآثار الصحابة رضى الله عنهم، وفحص الفتاوى التي وردت عن الأئمة، ولاسيما فيما يحوم حوله الشك في أصالة نسبته من عدمها.

كما تعكس عملية نقل عدد من مصطلحات علم الوثائق من الثقافات الأجنبية الروح الإسلامية المستقرة في الأمة من أن الحكمة ضالة المؤمن آني وجدها فهو أحق الناس بها.

(٤) المصطلح الوثائقى بما هو وسيلة لقياس الإسهام العربي والإسلامي.

من الدراسات المهمة المتصلة بعلم المصطلح دراسة أنماط العرب والمسلمين في بناء صرح هذا العلم القديم الجديد؛ وذلك بفحص المصطلحات الوثائقية من جهة تأصيل

لغتها، وظهورها، وهو الأمر الذي يقود إلى الإقرار بأن ثمة ظهورا بارزا للمنجز الغربى يظهر من خلف المصطلحات الوثائقية التي دخلت إلى بنية اللسان العربي ببنيتها الصوتية الأجنبية بعد إجراء بعض التعديلات عليها، وهو ما يمكن أن نسميه التعريب بالنقل الصوتى للكلمة الوارد في لغتها وهو ما يظهر في :

المصطلح في قاموس سلوى ميلاد في معجم بتير قالن

الأرشيف ص٩ م ٨ ص ٢٦م ٣٦

بارو(طريقة إصلاح) ص ١٦م٣٢ ص ٦٢،٣٠ م١١٦

للوثيقة

دوسيه (ملف) ص ٢٨م٧٩ ص٨٤م١٦٩

الكلاسير(حافظة)ص ٤٦م١٦٣ -

ولكن الحق قاض بأن نقرر أن الحضارة العربية الإسلامية أسهمت في إقامة صرح علم الوثائق في صورته المعاصرة، وهو ما يمكن ملاحظته من خلال عدد غير قليل من المصطلحات التي استقرت في الجهاز الاصطلاحى لهذا العلم، وجاءته من أصول عربية، وهو ما يظهر في :

❋ **الإضبارة** : وهو مصطلح دال على طريقة من طرق الحفظ بالأربطة.

❋ **الدفتر** : سجل الأراضي، وقد دخلت إلى العلم من العربية،وإن لم تكن عربية الأصل.

❋ **الفهرس** : قائمة مرتبة، وهي من الفارسية لكن دخلت إلى العلم من العربية.

وهو الأمر الذي يمكن رصده أيضا من خلال التأريخ لظهور العمليات التوثيقية المختلفة.

إن قراءة ملامح الوعى الذي أحرزه العرب المسلمون وبخاصة في فترات مدهم الحضارى دالة على عظمة ما قدموه لحركة العلم في ميدان الوثائق والأرشيف، ولم يكن

ذلك الجهد الذي بذلوه بمعزل عن الدين العظيم الذي حرر عقولهم ونهض بحياتهم؛ ذلك أن الدين قام على أصل جامع حاكم تشريعيا على الأقل يرعى التوثيق، ويدعو إليه، بنصوص ثابتة تدعو إلى الحفظ، وإلى التدوين، وهي نصوص محكمة ومتواترة كما يظهر من قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ وبقوله : ﴿وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ (سورة البقرة ٢/ ٢٨٢) وفي هذا الأجزاء من الآية الكريمة حشد من مصطلحات الوثائق هي :

الكتابة / الأجل / الكاتب / الشهيد = الشاهد، مما يصح معه أن نقرر أن القرآن الكريم وتفاسيره المختلفة أحد أهم مصادر علم الوثائق عند العرب وهو كاف أن ينهض بهذا العلم في المجال العربي، لو أحسن استثماره.

وهو ما يؤكد أن آية عملية للنهضة أيا ما كان مجالها أو ميدانها يجب عليها أن تنطلق دائرة حول الكتاب العزيز، بما هو محور الوجود الحضارى والعلمى والثقافي لهذه الأمة.

وهي الحقيقة التي نهضت بسلف الأمة عندما استوعبها، ووعاها وآمن بجدواها.

***